الفصل الثانى

" العقيدة المصرية القديمة . القوة والقدسية وعظمة المصادر"

ويشمل:

أولاً : تمهيد

(أشكال العقائد الدينية فى مصر القديمة، مظهر مرئى لقوى مقدسة مجردة)

ثانيا: " صفات الآلهة " ونشأة العالم" عند المصرى القديم.

ثالثا: " قدر الإنسان ومصيره " بين البشر والآلهة" عند المصرى القديم.

أولاً : تمهيد

(أشكال العقائد الدينية فى مصر القديمة، مظهر مرئى لقوى مقدسة مجردة)

لعبت الحضارة المصرية القديمة دوراً كبيراً فى التاريخ الروحى للإنسان على مدى تاريخ البشر المتطاول، مازالت تأثيراته بادية بوضوح أحياناً، أو متسربة، لا تخفى على عين المتخصص المتتبع لتاريخ الديانات المقارنة فى طيات النظم الروحية،والطقية والعقائدية، فى حياة الإنسان المعاصر.

وفى هذا يقول المؤرخ الإغريقى (هيرودوت):

" إنَّ المصريين أكثر تقوى من سائر البشر. .. ويهتمون كل الاهتمام بالشعائر المقدسة، فقد سبقوا شعوب العالم إلى إقامة الأعياد العامة والمواكل العظيمة، وعنهم تعلم الإغريق، ودليلى على ذلك أنها تقام فى مصر منذ زمن بعيد، بينما لم يحتفل بها الإغريق منذ وقت قريب".

فقدماء المصريين عظماء، لاشك فى ذلك احد، أحبوا وطنهم ارضاً وسماءً وماءً وهواءً وزرعاً وحيواناً، ثم قدسوا كل ذلك، و لم يكن الهوى هو مصدر ذلك الحب، ولكنه اليقين الذى أضحى لدى أصحابه من قواعد الإيمان.

وكان للديانة المصرية القديمة واعتقاد المصريين فى حياة أخرى عظيم الأثر فى مدنيتهم وعلومهم وفنونهم وآثارهم، فولا معتقدات المصريين الدينية، لما رأينا المعابد والأهرامات والمقابر والتماثيل والتحنيط وروائع الفن.

وحول هذا المعنى يقول برستيد:

" لا يوجد شعب قديم أو حديث، خلع على فكرة فيما وراء القبر أهمية كتلك التى خلفها قدماء المصريين على تلك الفكرة، بل إنَّ هذا الإيمان - الملح - بوجود الآخرة، ربما كان- وقد هدتنى التجارب فى أرض مصر إلى الإعتقاد بذلك- يجد عوامل مشجعة ومواتية بسبب ما ترتب على صيانة الجسم الإنسانى صيانة فائقة، على نحو لا يمكن أنْ يوجد فى الأحوال الطبيعية فى أى جزء آخر من أجزاء العالم،وأى شخص له إلمام بجبانات مصر- القديمة منها والحديثة - لابد أنهً وجد

جسوماً عديدة أو أجزاء من جسوم قديمة قدماً لاحد له تظهر فى حالة من الصون تقترب من جسوم الأحياء.[1]

إنّ حالة الصون، التى تدعو إلى الدهشة، التى وجد عليها المصرى القديم أسلافه، لابد أنعشت إلى حد كبير- اعتقاده فى بقائهم المستمر، وأيقظت خياله مراراً إلى مزيد من الصور المفصلة عن صقع وحياة الراحلين الذين تكتفهم الأسرار، وتكشف جبانات مجتمعات ماقبل التاريخ المكتوب، الواقعة بمحاذاة النيل، التى عُثر عليها وأجريت حفائر فيها منذ عام ١٨٩٤، عن إيمان بحياة مستقلة كان قد وصل إلى مرحلة متقدمة[2].

وتقدم لنا نصوص الأهرام [3].أقدم فصل فى تفكير الإنسان، وصل إلينا محفوظاً، وهو أبعد قسم فى تاريخ الإنسان العقلى نستطيع أنْ نتبينه، وتعكس هذه النصوص، كما يفعل كل أدب مدوجزر الحياة حولها، وتتحدث فى تعبيرات تجاريب الناس الذين انتجوها، وهى تعابير جارية فى حياة القصر اليومية فى الشارع والسوق.

---

(1) تطور الفكر والدين فى مصر القديمة " دار الكرنك، ١٩٦١م، ص ٨٥-٨٦.

(2) راجع أيضاً " تاريخ التحنيط فى مصر" أعمال الجمعية الفلسفية الملكية فى جلاسجو سنة ١٩١٠ للأستاذ ج إليوت سمث.

- Prof. G. Elliot, Smith, The History of Mammification in Egypt , proceedings of the Royal Philosophical society of Glasgow, 1910.

(3) ظهرت الطبعة الأولى من نصوص الأهرام لماسبرو فى مجلته Recneil فى المجلدات ٣،٤،٥،٧،٨،٨،١٠،١١،١٢،١٤ ثم ظهرت بعد ذلك فى سفر واحد، وهناك مجلدات أخرى تحوى ترجمة وشرح النصوص ومواد الكتابة القديمة قام بها شفير H. Schafer

وهى (نصوص الأهرام) مكتوبة بالهيروغليفية، وتغشى حيطان الممرات والدهاليز والغرف فى خمسة أهرام فى سقارة، إنّ أقدمها هو هرم " وناس" آخر ملوك الأسرة الخامسة التى ترجع إلى النصف الأخير من القرن السابع والعشرين ق.م، والأربعة الباقية هى أهرام أوائل ملوك الأسرة السادسة، تيتى وبيبى الأول، ومرنرع، وبيق وبيبى الثانى، الذين مات آخرهم فى بواكير القرن الخامس والعشرين ق.م، وعلى هذا، فإنها تمثل فترة يبلغ مداها مائة وخمسين عاماً، من قرابة عام ٢٦٢٥ إلى عام ٢٤٧٥ ق.م، على ماهو راجع، أى القرن السادس والعشرين بأجمعه، وعلى الراجح ربع قرن قبله وربع قرن بعده.

راجع : برستيد : تطور الفكر والدين فى مصر القديمة، ص ١٣١.

ووظيفة نصوص الهرام، هى فى جوهرها، ضمان نعيم الملك فى الآخرة، إنّ النغمة الرئيسية السائدة هى الاعتراض على الموت فى الحاح أو حتى فى عاطفة عنيفة، ويمكن أنْ يُقال إنها سجل لأقدم ثورة عظمى قامت بها الإنسانية ضد الظلام الحالك والسكون الذى لارجعة لأحد منهما.

ولا يجيئ لفظ موت أبداً في نصوص الأهرام إلاّ فى صيغة سلبية، أو عندما يطبق على عدو، إنا لنسمع مراراً وتكراراً التوكيد المستعصى بأنّ الموتى يعيشون. " إنّ الملك تيتى لم يمت موتاً، لقد أصبح شخصاً ممجداً فى الأفق" [1].

"هيا: أيها الملك وناس ! إنك لم ترحل ميتا، إنك رحلت حياً "[2].، " لقد رحلت لكى تستطيع العيش، إنك لن ترحل حتى تموت" [3]، " إنك لا تموت" [4]، " إنّ هذا الملك بيى يعيش إلى الأبد " [5]. وهكذا يكون أجل موضوع فى نصوص الأهرام هو الحياة، الحياة الأبدية للملك.

وتقدم لنا الحضارة المصرية القديمة كثرة من العقائد الدينية، ترتبط إحداها بأشكال حية حيوانية أو نباتية، والأخرى بأشكال مادية غير حية، والثالثة اتخذت صوراً بشرية.

فقد نظر إنسان وادى النيل، المبكر،إلى الحيوانات البرية - رغم كونها هدفاً للصيد- نظرة ملؤها الهيبة والرهبة، بسبب ضراوتها أو قوتها، فنجد - فى نقوش العصور المتأخرة لما قبل التاريخ- صوراً للأسود والثيران الوحشية، ترمز للسُلطة المسيطرة، وهى ترمز بالمثل للملك " نعرمر" وهو يطأ تحت قدمية أعداءه الذين ألحق بهم الهزيمة.

وقد عُثر على العديد من التماثيل الصغيرة للقردة، كذلك رسوم لها على بطاقات عاجية ترجع جميعها إلى العصور التاريخية مما يُرجح تقديسها منذ وقت

---

[1] نصوص الأهرام - ٣٥٠.

[2] نفسه-١٣٤.

[3] نفسه -٨٣٣.

[4] نفسه - ٧٧٥.

[5] نفسة- ٤٦٤ ١جـ، ١٤٦٨جـ -د، ١٣٧٧ب.

مبكر؛ أما الرمز الحيوانى للمعبود " ست " [1] كما يظهر على أحجار مقابر الأسرة الأولى، فهو يمثل حيوانا يشبه الحمار، له ارجل طويلة، وآذان طويلة أيضا مستعرضة وذيل قصير قائم.

وكانت – عبادة الغزال Oryx- anteleope فى المقاطعة السادسة عشرة من مصر العليا، ثابتة من توارد هذا الحيوان رمزاً لها، وهناك مثال يمكن أن يستشهد به على ذلك من عهد الملك "زوسر" فى الدولة القديمة، وإن كانت عقيدة ذلك الحيوان المقدس قد انحسرت منذ وقت مبكر لحساب الصقر "حورس".

وعقيدة الصقر "حورس Hores " كانت لها أهميتها العظمى منذ عصور ما قبل التاريخ [2].، واسمه بالمصرية القديمة "حروHorew" يعنى "الساحق" وهو اسم يناسب طائرا من طيور القنص يرقى فى تحليقه إلى مسافات عظيمة فى ارتفاعها، وقد عُبد حورس فى العديد من المقاطعات التى انتشرت فيها عقيدته قادمة من مركز عام لها فى نخن Nekhen" أى " هيراكوبنوليس" اليونانية "الكوم الأحمر " الحديثة فى المقاطعة الثالثة من الصعيد.

وهناك مركز هام أيضاً لعقيدة ذلك المعبود فى الصعيد عُرف باسم " بحدت مكان مدينة "ادفو" الحديثة، وعُرف به تحت اسم "حورس" بحدتى أو الإدفوى، وإلى جوار ذلك كان الصقر الطائر المقدس، رمز للعديد من المعبودات الموجودة فى مختلف المواقع بمصر، والتى توحدت فى وقت لاحق مع "حورس".

أما عقيدة " البقرة المقدسة" فقد وجدت لها عدة مراكز، منها الإقليمان السابع والثانى والعشرون فى مصر العليا، والإقليم الثالث من الدلتا، وفى عصر مبكر للغاية، كان الرمز الحيوانى المقدس للإلهة " حتحور" فى "دندرة" هو البقرة، متوحدة معها تماماً.

---

[1] يعد الإله " ست " من أقدم آلهة مصر التى عبدت منذ فجر التاريخ، وكانت مدينة " نوبت" (أمبوس) مكان مدينة طوخ الحالية بمحافظة قنا، وهى مركز عبادته، ولقد مزج الهكسوس بينه وبين معبودهم " سوتخ" حيث أقاموا له المقابر فى عاصمتهم " أواريس" أصبح كل منهما يُعرف باسم الآخر، ولما أتى الإغريق إلى مصر شبهوا "ست" بمعبودهم " تيفون" إله العواصف والرعد.

[2] وطبقا لأسطورة " أوزوريس وإيزيس" كان " حورس" هو ابنهما الذى انتقم لأبيه من عمه الشرير" الذى اغتصب العرش من أخيه "أوزيريس".

هذا، وقد انطبعت فى مخيله الفلاحين الشعبين فى مصر الخصـائص المميزة لبعض الحيوانات التى ارتبطت حياتهم بها، فالثور والكبش، قد أثرا على هذه المخيلة بقدراتهما الإنتاجية وقواهما الإخصابية، أما البقرة، فقد ألهمت عنايتها الفائقة بوليدها، وحنوها عليه مفهوم تقديسها كرمز للأمومة، وتعود عقيدة العجل " حابى Hapi - بالمصرية - و"أبيس Abisباليونانية "، إلى الأسرة الأولى- على الأقل - فى مركز لها فى مدينة منف.

وقد اعتبرت بعض الأشجار المعينة - خاصة الضخمة منها- قاعدة أو مثوى لبعض المعبودات، فهناك شجرة جميز على مقربه من مدينة منف، كان يعتقد أنها مستقر الألهة أنثى طيبة تنتفع الناس ببركتها، ولقد كان من المعتقد أنّ ارواح الموتى القادمة من المدافن المجاورة على شكل طيور تجد فى ظل الجميزة الوارف حاجتها من الطعام والشراب، وتقدمها لها الإلهة الخيرة التى تقطن هذه الشجرة، وهناك نباتات ارتبطت باسم إله أو ألهة معينة، وقدست نزولاً على ذلك الاعتبار، وإنْ لم ينظر إليها كرمز أو مظهر لهذه الإلهة المرتبطة بها.

والعقائد المرتبطة بأشكال مادية غير حية، هى ظاهرة بالغة القدم فى تاريخ الديانة ومنها المصرية، شانها فى ذلك شان العقائد الحيوانية والنباتية، وقد ارتبطت هذه الأشياء المادية بالمعابد أو بالملك الحاكم.

ففى مدينة " هليوبوليس -Heliopolisوهو اسمها باليونانى- كان هناك عمود أو نُصب مقدس يسمى "يون yon، وكان يوجد فى هذه المدينة أيضاً حجرٌ مقدس هو ال "بنبن Benben" على شكل مسلة، قد تكون السبب فى أن أعتبرت المسلات بعد ذلك رمزاً للشمس المشرقة، واعتبر الكثير من رموز السلطة والقوة كالصولجان والعصى وعلامات بمثابة أشياء مقدسة.

ومن غير الإنصاف أن نحكم على المصريين - نزولاً على وجود الأعداد الكبيرة من المعبودات التى ظهرت أولاً مرتبطة برموز حيوانية أو نباتية أو باشياء مادية غير حسية بأنهم قد اعتبروا هذه الحيوانات أو الأشياء آلهة فى حد ذاتها، والحق أن مثل هذا الحكم المخطئ عليهم قد تبنته شعوب أخرى فى العالم القديم، وهم اليونانيون على وجه التحديد، الذين سخروا منهم، وكذلك إضطهدهم المسيحون فى العصور اللاحقة، بناءً على ذلك، ومن الجلى أنه لا يوجد عقل حتى لو كان بدائياً يمكن أن يعتقد أن الأشياءالمادية أو الحيوانات، أو حتى البشر، هم أكثر من

مجرد مظهر مرئى، أو مستقر لقوى مقدسة مجردة، والمصريون مثلهم فى ذلك مثل غيرهم من البشر التمسوا- عموماً الاتصال بالقوى فوق الطبيعية، وارتأوا أنَّ أفضل السُبل إلى ذلك هو إختيار إطارٍ أو محورٍ محدد ومرئى، يمكن أنْ تتجمع فيه الصفات التى تعبر عن هذه القوى[1]

وقد حدث تطور فى مفاهيم ومظاهر الديانة المصرية القديمة، بأشكالها الحية، الحيوانية والنباتية، أو المادية غير الحية، عندما أحرزت الحضارة المصرية درجة معينة من التمدين، وأفضى هذا التطور إلى ازدياد القوى التجريدية لدى البشر، فاصبحت القيم المعنوية أعظم تأثيراً، وهى القيم التى تطورت مظاهرها فى الإنسان أكثر من أيه كائنات أخرى، فالمعبودات التى يعزى إليها قدر جليل من المعرفة والقدرة، أصبحت تمثل فى صورة إنسانية فى النهاية، وعلى ذلك فإن وضع الآلهة فى هذه الصور هى علامة تحدد المرحلة الأخيرة لهذا التطور، وإن كانت هذه الصورة لم تشمل الآلهة كما لم تتأثر بها كل طبقات السكان بنفس القدرة فبينما الطبقات العليا منهم والمتعلمة قد ارتفعت إلى مصاف المفاهيم الإنسانية لآلهتها، نجد العامة الأكثر بدائية من المزارعين استمروا أكثر احتضاناً للمفاهيم الحيوانية والنباتية أو المادية القديمة.

وكان للمتغيرات السياسية أثرها الكبير فى مصائر العديد من الآلهة فى العصور القديمة، كالاختفاء التام لبعضها من على مسرح الحياة الدينية، أو صعود البعض الأخر منها إلى المقام الأكبر، أو التغير التدريجى فى صفات وطبيعة العديد منها، فالتطورات السياسية أدت أولاً إلى توحيد المقاطعات المنفصلة إلى أقاليم، وهى بدورها فى النهاية اندمجت فى وحدتين سياسيتين كبيرتين هما مملكتا الدلتا والصعيد، ثم وصلت هذه التطورات السياسية إلى نهايتها باتحاد هاتين المملكتين فى وحدة كبرى ضمت القطرين مصر العليا والسفلى تحت عرش واحد.

وقد أدت هذه الأحداث السياسية، إلى علاقات متقاربة بين الآلهة المحلية، فقد أصبح إله عاصمة الإقليم – المعبود الرئيس فى الإقليم، بينما انزوت الآلهة الأخرى إلى مصاف المعبودات الثانوية، أيضاً أضحى إله العاصمة السياسى للمملكة الموحدة بمثابة الإله الأكبر لها جميعاً، وفى مجرى هذا التطور حجبت أو ضمرت بعض

---

[1] ياروسلاف تشرنى: "الديانة المصرية القديمة" ترجمة الدكتور أحمد قدرى، مراجعة الدكتور محمود ماهر طه، مطبعة الأثار المصرية ١٩٨٧م، ص ٤٨.

المعبودات لحساب الآلهة الأكثر أهمية، أو اندمجت فيها تماماً فاقدة قوامها الفـــردى، منتهية بذلك إلى النسيان،

ثانياً : " صفات الالهة " و "نشأة العالم" عند المصرى القديم.

إنّ القوى الطبيعية باسرها، هى فى المجتمعات القديمة، أجزاء صغيرة من القـــوة الإلهية العظمى، المنتشرة فى الكون.

وقبل خلق العالم، كانت هذه القوة الإلهية لا تزال غير فاعلية، ولكنها كـانت متأهبة للفاعلية، وسط كتلة ضخمة، هى محيط أزلى، بلاحدود، وبلا ضياء، فـــهو خواء لاعضوى.

وعندما تجلت هذه القوة للمرة الأولى، على هيئة إنبثـــاق وضـــاء، خلقـــت بأساليب متنوعة السماء والأرض والآخرة فى العالم الســـفلى والجبـــال والتـــلال والوديان والصحارى والأنهار والبحار والبشر والحيوان والنبات والأحجار، وكـــل ما لايزال يشكل عالمنا الراهن، وفى بعض هذه العناصر يكمن جزء متناهى الصغـــر من الكيان الإلهى يربطها بالقوة الأولية العظمى، وهكذا ولد سحر العالم.

وتتمايز آلهة مصر القديمة عن بعضها البعض بالقابها وأعيادها، وكذلك المـــدن والأقاليم التى ارتبطت بها عبادتها فى الأصل، وفى حالات كثـــيرة اســـتمر ذلـــك الارتباط طوال فترات التاريخ الكلى للبلاد، وبغض النظر عن هذه الملامح الخارجيـــة لهذه المعبودات، فإنه يتعسر إلى حد ما تحديد طبيعتها أو صفاتها الفردية بوضـــــوح تام، خاصة وأن الوثائق المحررة للدولة القديمة قد صمتت عن مثل هذا التحديـــــد، إضافة إلى أنه من المحال رسم صورة لديانة متسقة ومنطقية فى كـــل تفاصيلـــها أو صلاحيتها العامة للإقليم المصرى باسره، لأنّ مثل هذه العقيدة الموحدة والمتناسقة لم تتواجد قط، فالديانة المصرية ليست من خلق مفكر واحد، لكنها النتـــاج العـــام للعديد من مختلف التيارات اللاهوتية والسياسية، و لم تكن هناك ثمة سلطة مفـــردة ومسيطرة بشكل كاف طوالى التاريخ المصرى القديم لكى تختصر كل العقائد المحلية وتوحدها فى إطار لاهوتى أو فكرى شامل يفرض على كل المصريـــين بمختلـــف انتماءاتهم الاقليمية أو الطبقية.

والموطن الأصلى للآلهة المصرية يقع فى ربوع أرض مصر ذاتها، فـــهى آلهـــة وطنية خالصة، وظلت كذلك حتى زمن امتداد النفوذ السياسى المصرى إلى الخارج، حيث انتشرت عقائد هذه الآلهة إلى البلاد المجاورة فى النوبة والسودان وفلســـطين

وسوريا، أما قبل ذلك وفى إطار العزلة الأصلية للبلاد، فإنها اختصت فقط بمصر والمصريين فالأرض التى انطوت عليها سلطاتهم الإلهية كانت هى ارض مصر، والبشر الذين ارتبطت معهم بعلاقة مقدسة كانواهم المصريين وحدهم.

وقد ابدى المصريون دوماً تسامحاً دينياً فيما بينهم فى داخل مصر نفسها، كما أبدوا مثل ذلك التسامح مع آلهة البلدان المقهورة، لجنود الحاميات والموظفون منهم فى الخارج وإن عمدوا بطبيعة الحال إلى بناء المعابد والهياكل المقدسة لالهتهم المصرية، إلاّ أنهم نهجوا إزاء الآلهة الأجنبية المحلية- كما كانوا يفعلون دائما فى مصر- إزاء اى إله أو إلهة حامية لمدينتهم أو اقليمهم الأصلى على سبيل المثل، وفى مثل هذه الظروف، فمن البدهى ألاّ يظهر طوال عصور الديانة المصرية أى مظهر من مظاهر الإضطهاد الدينى[1].

والإنسان المصرى الذى تحيط به مظاهر الطبيعة، ويتوقف عليها ذاته قد تصور حوله قوى إلهية تقطن العناصر الكونية، وعلى راسها الأرض والسماء والأثير وفيضان النيل فضلاً عن الشمس والقمر، فهذه القوى التى تجسدت فى هيئات بشرية بلورت العديد من الآلهة الكونية ذات الأهمية العامة للجميع، للدرجة التى لم تعد هذه الآلهة ترتبط فى أصولها بأى إقليم أو مدينة فى البلاد، فهى بوجودها فى كل مكان لم يكن ثمة حاجة بشكل منظم لعقيدة لها أو معبد محلى محدد بعينه.

لقد خلقت الآلهة العالم، وبالنسبة لكل إله فى مدينته الرئيسية، تخيل البشر أساليب متنوعة لانجاز عملية الخلق على خير وجه، لقد نظمت الآلهة الكون، وكان المصريون المرهفو المشاعر والحس، المولعون بالصور الأسطورية الجميلة، يكثرون إذ ذاك من المناظر الخيالية التى تهدف إلى تفسير تشكيل العالم وموقع الأشياء.

كما كان المصرى إنساناً شديد التقوى، فنظم الأناشيد معبراً للآلهة، فى صورة شعرية، عن امتنانه وعبادته، وسوف يترك هذا الشعر المقدس الغزير اثراً مؤكداً على الآداب اللاحقة الكلاسيكية القديمة واليهودية والمسيحية.

---

(1) باستثناء فترة قصيرة وغير عادية، خلال ثورة العمارنة الاخناتونية، التى اتبعت فيها بعض اجراءات عنف فى فرض عقيدة " إخناتون" فى مصر، أو فى قهرها بعد ذلك على حد سواء، مما أدى إلى حدوث انقسام كبير فى البلاد نتيجة لاعتناق المسئولين لديانة آتون، واتخاذ كهنة آمون، وبعض العائلات المحافظة ، من اخناتون وديانته موقفاً عدائياً.

وانقسمت آراء المصريين حول خلق الآلهة والشر والأشياء، وقدم اللاهوتيون منهم العديد من النظريات الرامية إلى تفسير نشأة العالم، وكان أكثر ثلاث منها أهمية هى فلسفة الأشمونين وهليوبوليس ومنف.

(أ) وطبقاً لفلسفة الأشمونين اللاهوتيه لم يكن ثمة شيئ ماقى البداية سوى اللاوجود أو الفوضى ذاتها، والتى تخيلها المصريون إما كعنصر عبارة عن "المياه الأزلية"، أو قوى تتحسد فى الإله "نون" الذى أطلق عليه اسم "الواحد القديم" فهو "المبدأ الأول" أو "الأصل الأول"، وقوام هذا الأزل خواص أربع يمثل كل منها ذوجين ذكر وانثى من المعبودات، فالخاصية الأولى هى " العمق العظيم " ثم " اللانهاية"، ثم "الظلام المخيم" فاللارؤية.

ونحن لا نعرف على وجه الدقة تطور الفلسفة الكونية الآشمونية، حيث أنها أختلطت منذ زمن مبكر خلال فترة الانتقال الأول بلاهوت هليوبوليس، حيث قدمت مفهوماً أكثر تقدماً فى تفسير بدء الخليقة فيما بعد.

(ب) أما معبود هليوبوليس- الإله " أتوم Atum" فقد بدأ وجوده الذاتى من فوق قمة تل أزلى، انبثق بدوره من المياه أو اللانظام الأزلى، ثم نفخ الإله فى يده، وبزق من فمه الإله "شو show" وقرينته " تفنوت tfenet" واللذين نسلا، ومن خلال ولادة طبيعية بقية المعبودات الأخرى.

ويعزى إلى أتون، الذى يعنى اسمه فى اللغة المصرية " الكامل " أو "المطلق" ثلاث صفات رئيسية، فهو الموجود بذاته " " الذى أتى إلى الوجود بنفسه "، وهو " الأقدم" " أو الأزلى"، كما أنه " الأوحد " المتفرد بذاته، وعلى ذلك فهو الحاكم على كل الآلهة الأخرى "سيد الجميع" [١].

ولقد كان " شو" يجد الهواء أو الأثير، بينما " تفنون " تمثل الرطوبة، وبهما بدأ العالم المنظم، فـ " شو" كأثير كان معطى الحياة أو القوة الخالقة التى اعتمدت عليه فى كل عناصرها، وما الريح والأنسام التى تتنفسها الأحياء إلاّ من ظواهره وهو

---

[١] وكان ينطق اسمه باللغة المصرية القديمة " Temor Tum بمعنى اكتمل، وهو فى ذلك يشبه الفعل " تمّ " فى اللغة العربية. " To be complete " وقد وحد المصريون بينه، وبين إله الشمس "رع"، وأطلقوا اسمه على قرص الشمس قبل الغروب عندما (يتم) أو يكتمل، وكان يُعد هذا الإله فى بعض الأحيان بأنه أصل الجنس البشرى.

لانهائى وغير مرئى لا تحيط به الأنظار، ولقد فصل السماء عن الأرض، بأن رفعها مالئاً الفراغ بينهما بأدلة وجوده[1].

وقد حلل اللاهوت المصرى الخلق الميتافيزيقى للإله " شو" بأنه قد تم وجوده من خلال انسام الحياة، وهو تفسير يتسق إلى حد بعيد مع طبيعته كإله أيترى، قد نفثه " أتوم" مستخدماً قواه السحرية، منذ أن بشر اللاهوت الهليوبوليس بأن " أتون " ماهو إلا مظهر آخر لإله الشمس " رع "، فإن الأثنين اندمجا معاً فى مركب إلهى واحد هو " رع - أتوم" الذى بانبثاقه من الظلمة، غمر ضياؤه كل شيئ، وقد شخص المصريون الكون طبقاً لهذا المفهوم بتخيل الإله " شو" رافعاً بذارعية الممتدتين إلى أعلى ابنته " نوت" ربة السماء، بينما " جب" رب الأرض يقع قابعاً عند قدميه.

(جـ) وفى فترة ما بين عصرى الأسرتين الثالثة والخامسة، عندما كانت مدينة منف العاصمة السياسية لكل البلاد، كانت هناك ثمة ضرورة عقائدية وسياسية معاً لإجراء ضرب من المصالحة بين لاهوت " هليوبوليس" الذى احتل فيه الإله " أتوم" دور الإله الخالق، وبين لاهوت " منف" الذى يتمتع فيه الإله " بتاح " بهذا الدور.

وعلى ذلك فقد أعلن عن ثامون مقدس بضم ثمانية آلهة، احتواها جميعاً الإله " بتاح" متجسدة أشكالها فيه، والتى لم تكن إلاّ " بتاح" نفسه، وتعبر الفلسفة المنفية عن ذلك مرددة:

" فى الأصل تم الخلق من اللسان والقلب باعتباره صورة " أتوم" ولكن " بتاح الأعظم " حبا الآلهة وأرواحها الفعالة بالحياة بغيض من قلبه ولسانه اللذان توحدا منذ البدء فى (حورس وتحوت) واللذان هما (بتاح) بعينه الذى يقف تاسوعة المقدس[2] منه كالأسنان التى هي بذور (أتوم) والشفاه التي هي أصابعه، لأنّ أتوم قد ولد

---

[1] عندما فصل الإله "شو" السماء عن الأرض ملأها بالنور والهواء، ومنذ ذلك الحين بدات الحياة، ولذلك يسمى " شو" فى نصوص التوابيت والنوصوص الدينية بـ " عنخ" بمعنى " الحياة"

[2] كان التاسوع يتكون من "آتوم" الذي خلق من ذاته "شو وتفنوت" وتزوج المعبودان وأنجبا "جب" رب الأرض و "نوت" ربة السماء، وتزوجا أيضاً، وأنجبا أربعة هم "أوزيريس وإيزيس وست ونفتيس".

من بذرته ومن أصابعه، وما هذا التاسوع إلا الشفاه في فم هذا الذي نطق بالأسماء الأولى للأشياء جميعاً التي خلقت (شو وتفنوت) وباقي تاسوعه".

وتتخلل نصوص الخليقة للمدرسة المنفية فقرات تقدم في سياقها فهماً مدهشاً للظواهر الفسيولوجية، كما تقرر "أنّ القلب واللسان لهما السيطرة على كل الأعضاء، فالقلب يوجد في كل الأجساد، واللسان في كل الأفواه للآلهة والبشر وكل المخلوقات والأشياء الحية، والقلب يحتفظ بالأفكار، بينما اللسان ينطق بالكلمة، فنظرة العين وسمع ونشاط الأيدى والأذرع وكل ما سعى على قدميه مصدر كل معرفة، منه تنحم المهن والأعمال ونشاط الأيدي والأذرع وكل ما سعى على قدميه، وكل حركة للأعضاء التي تصدع بالأوامر التي يفكر فيها القلب، وينطق بها اللسان والكلمات التي تعطي أثرها في إنجاز كل الأشياء".

وهنا تبدو قصة "بدء العالم" الذي خلقه "بتاح" معروضة في أسلوب فكري رفيع، ففكرة الخلق تبدأ في العقل أو القلب، ثم يتحقق من خلال الكلمة المنطوقة للسان أو الأمر، وما الآلهة الأخرى إلاّ اللسان والقلب والأسنان والشفاه للإله "بتاح".

ثالثاً: "قدرُ الإنسانِ ومصيره" بين "البشر والآلهة عند المصري القديم.

فالآلهة إذاً هي التي خلقت البشر، وهم - أي البشر- ينطوون في تكوينهم على قبس إلهي، وليس من المستحيل عليهم أنْ يصبحوا هم أنفسهم آلهة حال مماتهم [(١)]، وقد كان الميت المؤله يحتل عادة قبل وفاته مركزاً رفيعاً، كمنصب وزير الملك وأعظم موظفيه في القطر، وكنموذج لذلك تقديس "كاجمني **Kagemni** [(٢)] في نهاية

---

(١) وإنْ كان هناك استثناء لذلك، هي قداسة الملك الحيّ حال حياته على الأرض، ولعلّ أشهر ملك أُلّه أثناء حياته هو الملك "رمسيس الثاني"، فمما اتبعه في التبشير بعبادته أسلوب تصويره بين الآلهة كأنّه واحدٌ منهم، والظهور ثالث الثالوث، فقد صور بين "آمون وموت" في مقام ابنهما "خونسو"، وبين "إيزيس وأزيريس" في مقام ابنهما "حورس" وبين بتاح وسخمت" في مقام ابنهما "نفرتم"، وبين إله = =الشمس ويوسعاس في مقام "شو". كما صُور بناسوته يتعبد إلى شخصه، أو يتلقى منه البركات، كذلك يقدم القربان إلى الثالوث الذي هو واحدٌ فيه.

(٢) كان "كاجمني" وزير الدولة في عهد الملك "تيتي"، وتقع مقبرته على مقربة من حوله في سقارة، وقد سجل تاريخ حياته على جانبي واجهة مدخلها.

الدولة القديمة، فنجد أفراداً من أتباع عقيدته - يحملون جميعاً اسم "جمِنْ Gemen" وهو اختصار "كاجمي" - يبنون مقابرهم حول مصطبته قرب منف في سقارة، ورغم ذلك لم يكن يُطلق عليه لفظ إله، وربما كان شيئاً قريباً من القديسين.

وقد أُله أيضاً كل من " أيمحوتب Imhotep " (١) وزير معمارى الملك زوسر العظيم من الأسرة الثالثة، و" أمنحوتب بن هابو " وزير الملك " امنحوتب الثالث" من الأسرة الثامنة عشرة، واستمر تقديسهما حتى العصر الصاوى(٢)، بل وامتدت عقيدهما محرزة شعبية كبيرة فى العصر البطلمى، وبين الإغريق أنفسهم الذين أطلقوا عليهما على التتابع " إموثس Imuthes" و" أمنوثس بأبيوس Amwnathes paapios" أى ابن هابو " حيث كانا يمثلان حكمة الأجداد.

ويبدو فى مفهوم المصرى القديم، أن مصائر البشر أو أقدارهم ليست حتماً يستحيل تجنبها، فالإنسان قادر على تغيير قدره من خلال أفعاله إذا أراد الإله له ذلك، وطالما أنّ الغد دائما " يقع بين أيدى الإله" فالطفل يولد مصحوباً بالعناية الإلهية، والوالدان يوطدان صلاهما بالآلهة فتأمر بأن يولد الطفل لهما، ومنذئذ فإن الإنسان يمارس أعماله فقط من خلال رضى الآلهة وموافقتها، فالبشر يقترحون الأفعال، أما الإله فيفرضها، أو كما عبر عن ذلك أحد حكماء المصريين:

"الإنسان ينطق بالكلمة أما الأمر فللرب".

---

(١) يعنى اسمه " الآتى فى الإسلام " ، وفى العصر الفارسى لُقب "بابن بتاح" حيث أخذ مكان الإله " نفرتم" وينحدر "ايمحوتب " من أب مهندس يدعى "كانفر" وأم اسمها " خردوعنخ" تنتمى إلى إقليم "مندس" غالباً، ويُقال ان "ايمحوتب" ولد فى إحدى ضواحى منف تسمى "عنخ تاوى" ؛ وقد اصبح إلهاً للطب، ووحد مع الإله الإغريقى "أسكليبوس Asklepios " وكان يُنظر إليه منذ وقت مبكرا فى الدولة الحديثة كراعى وحامى للكتاب الذين اعتادوا أن يسكبوا قطرات من مدادهم قرباناً له قبل شروعهم، كما اعتبر ابن الإله "بتاح " نفسه من السيدة "خردوعنخ".

(٢) لم تتعد عبادة " امنحوتب بن هابو" حدود طيبة، فى حين أنّ عبادة " ايمحوتب" انتشرب فى جهات كثيرة مثل منف والصعيد والنوبة والواحات.

ونجد نموذجاً لما يأمله المصرى من فضل الآلهة فى نص ينسب للملك " رمسيس الرابع" [1]، يسأل فيه الإله " أوزيريس" أمانيه التى يرجو تحقيقها، كمثوبة له على أعمال التقوى التى أعرب عنها لهذا الإله، وهو يضمن هذه الأمانى ما هو خاص به وبرعاياه، والذين يخاطب باسمهم الإله، وهو يعبر عن ذلك فى أسلوب محدد هو نمط مصرى حقيقى قائلا:

" لسوف تحبوننى بالصحة وبالعمر الطويل، وبعهد ملكى ممتد، وبالقوة لكل أطرافى، البصر لعينى، والسمع لأذنى، والهناء لقلبى كل يوم، ولسوف تعطوننى الطعام حتى الشبع، والشراب حتى الرى، وتطلون بذرتى من الأطفال بالحماية، حتى يصبحوا ملوكاً تحكم مصر دوماً وإلى الأبد، ولسوف تعمرون قلبى بالرضا، وتمنحونى سمعكم لما أقول، وستأمرون بفيضانات للنيل مترعة تحقق متطلبات قرابينى وقرابين الآلهة والإلهات سادة مصر العليا والسفلى حفاظاً على العجول المقدسة، وكل الناس على أرضك، مع قطعانهم وأشجارهم التى هى صنع يديك، لأنك أنت خلقتهم جميعاً ولن تتركهم فى ضلالة يعمهون"[2].

ونحن واجدون فى هذا النص القيم والأشياء التى أهتم المصرى القديم، ألا وهى الحياة والصحة والعمر الناضج المديد، ثم وفرة من طعام وشراب يطلبها لأطفاله، كما سألها لنفسه، ثم فيضان غامر تتوقف عليه رفاهية سكان مصر وثرواتهم من قطعان وأشجار كما تتوقف عليه حياة دينية ثرية فى ممارستها من التقدمات وقرابين الآلهة البلاد، وفى النهاية يُحث ربه على تحقيق هذه الدعوات بمبرر مقنع فالإله خالق البشر وكل شيء مما يُرتب التزاماً بأن يحبوهم بعميم رحمته ورعايته، وألا يعدل عن تلك الخطط الإلهية التى قدرها لهم عندما خلق ذلك العالم.

والآلهة- كما يتضح من النص السابق- هم الذين يصنعون الطفل، ويخرجونه للحياة، ويحبونه بالحماية والحب والتربية، يقفون وراء حافظين له حياته، يفذونه

---

(1) عُثر على هذا النص منقوشاً على لوحة رمسيس الكبرى فى أبيدوس، وهى حالياً بالمتحف المصرى تحت رقم ٧٥٧، ومسجلة برقم ٤٨٨٣١، وقد نقشت هذه اللوحة غالباً فى أوائل حكم "رمسيس الرابع"، وأهداها إلى الإله " أوزيريس" متأثراً بوفاة والده.

(2) راجع : "الديانة المصرية القديمة" ، ص٧٠-٧١.

ويغمرونه بالفضل والصحة والثياب، رافعين إياه عالياً، وإجمالاً فإن حياته كلها تقع بين أيدى الإله، لأن الإنسان هو خادم الرب المتبتل فى عبادته وحبه.

وكان التشوق للعمل بالاتساق مع إرادة الآلهة طابعاً مميزاً للمصريين، فدائماً أبداً كانوا يصرون على أن أى عمل معين " هو ما قرره الإله" وفى رأى المجتمع، فإن القيم الأخلاقية كانت تقرر بواسطة البشر أيضاً فضلاً على الآلهة، وكان المعيار فى ذلك عادة هو " ما يحبه الإنسان وتقره الآلهة" لأن ذلك هو العدل والطيب، وقد استخدام المصريون كلمة " نفر **Nufer**" للدلالة على "الطيب والجميل " فهم يتحدثون على سبيل المثال عن " شخصية طيبة " وعن شيء أو شخص بأنه من الجميل النظر إليه، كما أن " نفر" يرتبط أيضاً مع البهجة والحظ الطيب، والكلمتان المضادتان لذلك تعنى باللغة المصرية القديمة " دجو **dgow**" (الردئ وغير سار أو غير محظوظ أو حزين) بينما كلمة " بوين **boien**" تعنى (ردئ فى علاقته) مع "عدم الجدوى والكارثة والمصيبة"، وهذه الكلمات لها على ذلك معنى " جمالى وأخلاقى" بينما كلمة " ماع " التى تعنى " حق، صادق، عادل" وكذلك الاسم المشتق منها " ماعت " بمعنى " الحق، الصدق، العدالة" تنتمى على النقيض من ذلك فقط إلى المجال الأخلاقى[1].

والإنسان نفسه مسئول تماماً عن أثر أفعاله، لأن المصريين على الرغم من إيمانهم بالقدر فإنهم لم يخلصوا إلى أن القدر يمكن أن يعرقل الإرادة الحرة للإنسان، فالقدر يتبدى فى مختلف الأحداث فى العالم المحيط، والتى تؤثر على حياة الإنسان من الخارج، والإنسان تظل لديه الفرصة لكى يناضل ,ويواجه هذا التأثير لجهده الخاص.

---

[1] وهناك مفهومان مضادان لكلمة " ماعت" هما " جرج **Goreg**" بمعنى كذب أو زيف و يسفت "**Yesfet**" وتعنى تقريباً " خطأ أو رذيلة" وأحياناً نجد " ماعت" فى صيغه المثنى " ماعتى **Maeety**" وربما تعبر هذه الصيغة الثنائية عن درجة كاملة أو عميقة من المعنى، وليس إلى وجود مفهوم يعنى حقيقتين أو عدالتين، وتعنى "ماعت" كذلك النظام الذى قام عليه الكون ، ونظمت كل ماتم خلقة من مظاهر الطبيعة.

وما نطلق عليه اسم الضمير الآن، كان طبقاً لإدراك المصرى القديم مستقراً فى القلب " إيب Yeb"[1]. والذى كان موطن العقل و(العواطف) والرغبات، وصوت القلب هو "صوت الإله" و" ذلك الذى يقوده القلب إلى نسق طيب من السلوك هو السعيد".

والمصريون ذوو العقلية، العملية لم يشغلوا أنفسهم بتأملات نظرية عن الخير المطلق الذى يمكن تطبيقه، وإتباعه تحت كل الظروف وبأى ثمن، ووجهة نظرهم فى هذا الصدد كانت عملية محضة، فقد كان من المرغوب فيه عمل الخير، لأنَّ ذلك سيعود بالنفع على الفرد فرضا الآلهة والبشر سيثمر عطاؤه طال ذلك أم قرب، وهو يحفظ للإنسان (اسما طيباً) بين معاصريه وبين أخلاقه وسيحمى هذا الاسم من السقوط فى زوايا النسيان أو من اللغة.

والاسم كان عنصراً فعالاً لأى شيء أو لأى شخص يسهم في جوهر وجوده، و"الاسم الطيب" كان يذكر- كما اعتقد المصرى القديم- إلى الأبد، كما أنَّ حامله يتمتع بحياة ممتدة، ومثل هذا الاسم أمرٌ حرىٌ بأنْ يجتهد الإنسان من أجله[2].

وإتيان الخير والحق يتوافق إلى حد كبير مع السلوك الطيب، وقد كان ذلك يلقن للشباب من خلال فرع خاص فى الأدب هو أدب التعاليم، وهو عبارة عن مجموعة من الحكم والنصائح التى تشكل الحكمة العملية، أو بالأحرى الذكاء فى تناول الحياة[3]، وهذه التعاليم كان يفترض أنها من نسج رجال ناجحين فى حياتهم

---

(1) ولذلك كان القلب المتوفى يوضع فى الميزان مع ريشة العدالة أثناء محاكمه فى الآخرة أمام " أوزيريس" رب المتوفى.

(2) كان تحطيم الاسم يعنى القضاء على صاحبه، وهذا ما قام به مثلاً الملك "تحوتمس الثالث ضد الملكة "حتشبسوت" بعد وفاتها، حيث قام بتهشيم أسمائها على جدران معبدها بالدير البحرى، وكذلك ما قام به أعداء "إخناتون" ضده ، وضد إله " آتون" بعد انتصار كهنة "آمون" مثل ما نراه على جدران مقبرة رعموزا بالأقصر.

(3) كانت هذه الحكم تبدأ عادة بكلمة " سبوي" كعنوان لها، وهذه الكلمة معناها "درس أو تعليم" ولكثرة استعمال هذه الحكم والتعاليم، كان التلاميذ يكتبونها على قطع من الفخار وشظيات الحجر =

ومستقبلهم، وعلى ذلك فقد كان هناك ضمان معين لنجاح مماثل لأولئك الذين يتبعون هذا النهج.

وهناك أجزاء من الأعمال المتأخرة من هذا الفرع من الأدب، المسماة تعاليم " امنموبى **Amenemope**" والتى صيغت فى مصر الأسرتين العشرين والواحد والعشرين، وأقدم نموذج معروف لهذه التعاليم هى التى نسبت للحكيم "بتاح حتب **ptah-hotep** " الذى كان وزيراً فى الأسرة الخامسة، وتتركز حول سلوك الإنسان إزاء رؤسائه فى مختلف شئون الحياة، ولب هذه التعاليم أنّ " ما يحدث هو أمر الإله الذى يهب المكانة العظمى " وأنّ النهج الأفضل للشخص الراغب فى التقدم هو ألا يعمل فى تناقض مع النظام الراسخ.

وبينما كان هذا النظام فى الدولة القديمة مؤسسا فوق كل شيئ على إدارة منظمة جيدة، فإنّ الدولة الوسطى قد أضافت مفهوم تقوى الآلهة كجزء من هذا النظام، فعلى الرغم من أنّ الإله قد خلق السموات والأرض طبقاً لرغبة البشر، والنبات والحيوان لطعامهم، فهو كذلك فرض العقاب لأنه،

" يُنكل بالمخلوقات على ذلك الذى اقترفوه عندما كانوا أعداء له، كما أنه محق كل العاصي منهم، فمن المحال الإفلات منه، لأنّ الإله يعرف كل اسم، والتقوى أو الفضيلة هى الأكثر قبولاً عند الإله من القربان الذى يقدمه الشرير" .

والتجربة قد أدت رغماً عن ذلك إلى أنّ النظام الإلهى الذي يفرض المثوبة للخير، والعقاب للإثم، لا يتحقق دائماً فى الحياة الدنيا، وطالما أنّ المصريين قد آمنوا دائماً باستمرار الحياة بعد الموت، فإنه قد بدا لهم أنّ من الطبيعى والمنطقى أنْ يمتد أو يؤجل آثار النظام الإلهى، أى العدالة إلى الحياة الأخروية، ومن المحتمل أنّ الإيمان بأن السعادة فى الحياة الأخرى التى تتوقف على السلوك والأعمال خلال الحياة على الأرض، كان سائداً فى الدولة القديمة، يتضح ذلك من الوثائق المكتوبة لهذه الفترة، ومنذ الدولة الوسطى فصاعداً أصبح ذلك الإيمان مفهوماً سائداً، مما يجعلنا

=الجيرى الملساء، ومعظمها يرجع إلى عهد الرعامسة ، وأقدم ما وصلنا يرجع إلى الدولة القديمة ، وخاصة تعاليم " كاجنى" و" بتاح حتب".

تخلص إلى أنَّ هذا الإيمان تأصل فى فترة الانتقال الأول من التاريخ المصرى القديم.[1]

والنظرة التشاؤمية، ومفهوم عبثية هذه الحياة، تشكلان الخلفية لقطعة أدبية أخرى من نفس هذه الفترة، وهى "الحوار بين اليائس من الحياة وروحه"، فهو بسبب يأسه من الظروف المحيطة بهذا العالم، والتى يلخصها قائلاً:

" ليس ثمة ما هو حق، لقد انتقلت مقاليد العالم إلى أيدي من يرتكبون الشر مقترفى الإثم"، قرر الانتحار بأن يلقى بنفسه فى النيران حاثاً روحه على أنْ تلحق به.

ولقد حاولت الروح جاهدة أن تصرفه عن قراره هذا، وأنْ تذكره بمباهج الحياة وكآبة عالم الموت الذى لارجعة منه، وإن اتفقت مع جدل صاحبها بأنَّ من يصل إلى العالم الآخر سينعم بصحبة الآلهة، وسيحظى بمكانة على غرار إله، وربما أفاد ذلك فى أنْ يعمل على عودة السلام والعدل على الأرض.

ومثل هذا الأدب التشاؤمى يتعارض مباشرة مع النظرة التفاؤلية التقليدية للمصرى القديم إلى الحياة، والتمتع بنعائمها بدون أى خوف من الموت، ورغم أنَّ

---

[1] يمكننا القول بأنَّ المصرى القديم فى العصور التاريخية آمن بالخلود، رغم أنه لا توجد كلمة تعبر عن الخلود فى لغته، فكلمة الحياة نفسها تستخدم لكل من الحياة على الأرض والحياة بعد الموت، ولكن الخلود ليس مطلقاً ، فإن متطلبات معينة يجب أن تتحقق للحصول عليه، والدليل على وجود مثل هذه العقائد فى العصور التاريخية المبكرة هو مجرد العثور على أدلة أثرية، حيث احتوت مقابر هذه العصور على الطعام والأدوات الأخرى التى لا يُفسر وجودها إلاّ فى ضوء افتراض أنَّ هناك تصوراً بأن الحياة تمتد بعد الموت تحت ظروف شبيهة للغاية بتلك التى انصرمت. على الأرض.

وحالة الحفظ التى وجدت عليها أجساد الموتى فترة طويلة بعد الموت ، والتى تعزى إلى المناخ الجاف ، قد أسهمت إلى حد كبير فى أصل فكرة استمرارية الحياة، ولقد كان الوضع الذى توسد الجثث على أساسه يختلف من مكان إلى آخر، ولكن هذا الوضع كان ثابتاً فى الجبانة الواحدة، مما يعكس أيضاً بعض الاختلافات، أو بعض التصورات فى المفاهيم الجنائزية.

راجع : - **Erman, Adolf, Die Religionder Agypter, Berlin and Leipzig 1934;**

French translation, La religion des Egyptiens by H. Wild, paris, 1937.

- Sainte Fare Garno

1948.

الموت كان حقيقة لم يغمض المصرى عنها عينية عامداً إلى مواجهته بالوسائل الـــتى تتناسب مع إمكاناته، فا لتشاؤم ليس أمراً طبيعياً للمصرى.